﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾ [ق: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الشُّروعُ في إثباتِ دلائلِ اليقينِ بعدَ وصفِ اضطرابِ الجاهلين

بعد أن بيَّنت الآياتُ السابقةُ إنكارَ الكفّار ما أنذرهم به الرسولُ ﷺ من البعث، وإعادةِ الأرواح إلى الأجساد بعد الموت والاختلاطِ بالتراب؛ ناسب أن تَشرَعَ السورةُ في بيان الأدِلَّة على قدرة الله تعالى، وعلى أنَّ البعث حقٌّ، وعلى أنَّ استبعادهم له إنَّما هو لونٌ من جهالاتهم وانطماسِ بصائرهم؛ وذلك بِلَفْتِ أنظارهم إلى ما في كون الله الفسيحِ من آياتٍ دالَّةٍ على كمالِ قدرته، وبالغِ عَظَمَته، كالسماوات والأرض والنجوم؛ لأنَّ خلقَها من عَدَم، وإيجادَها على النحو الذي ألِفوه: دالٌّ على أنَّ إعادةَ الإنسانِ بعد العَدَمِ في حَيِّز الإمكان[1]؛ لأنَّه أصغَرُ من هذه المخلوقات وأهوَن.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: (سمو) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى العُلوِّ، يُقالُ: سَمَوْتُ؛ إذا عَلَوْتَ، والعَرَبُ تُسَمّي السَّحابَ سَماءً، والمَطَرَ سَماءً[2]، والسماءُ المقابِل للأرض مؤنَّثة، وقد تُذَكَّر، ويُستَعمل للواحد والجمع، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: 29]، ويقال في جمعها: سَماواتٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: 164]، وقال: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [المؤمنون: 86][3]، والمرادُ بالسَّماء في الآية هي ما يُحيط بالأرض من الفضاء الواسع.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 127، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 285، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 334.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سمو).

(3) الراغب، مفردات القرآن: (سما).

2) ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾: (زين) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ الشَّيءِ وتَحْسينه، فالزَّيْنُ نَقيضُ الشَّيْنِ، يُقالُ: زَيَّنْتُ الشَّيْءَ تَزْيينًا، وأَزْيَنَتِ الأَرْضُ، وازَّيَّنَت، وازْدانَت؛ إذا حَسَّنَها عُشْبُها[1]، وأمّا قول الله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت: 12]، وقوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات: 6]، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦﴾ [الحجر: 16]، وما جاء في هذه الآية: فإشارةٌ إلى الزّينة التي تُدرَك بالبصر، التي يعرفها الخاصَّة والعامَّة، وإلى الزّينة المعقولة التي يختصُّ بمعرفتها الخاصَّة، وذلك إحكامها وسيرها[2].

3) ﴿فُرُوجٍ﴾: (فرج) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى انفتاحٍ أو متَّسَعٍ في أثناءِ جرمٍ كثيف أو بين أجرام[3]، ومِنه الفُرْجَةُ في الحائِطِ وغَيْرِه، فهي الشَّقُّ، ويُقالُ: فَرَجْتُهُ، وفَرَّجْتُهُ، والفُروجُ: الثُّغورُ الَّتي بَيْنَ مَواضِعِ المَخافَةِ، وسُمّيَت فُروجًا؛ لأنَّها مُحْتاجَةٌ إلَى تَفَقُّدٍ وحِفْظٍ[4]، فمِنَ الشَّقِ والانفتاح قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ [المرسلات: 9]، وقوله هنا: ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بناءُ السماء ورفعُها وتزيينُها دليلٌ دامغٌ على قدرةِ الله على البعث

تُبيِّن الآية الكريمة الآياتِ الدالَّةَ على سهولة أمر البعث والإحياء بعد الموت على الله تعالى، وأوَّلُ هذه المعجزات هو السماء، التي تستنكر الآية الكريمة على المشركين غفلتَهم عن النظر فيها، والتفكُّرِ في طريقة بناء الله تعالى لها بدقَّةٍ وإحكام، وكيف أنَّه رفَعها بلا عمد، وأمسكها من الوقوع، وزيَّنها بالنجوم والكواكب للناظرين، وجعلها خاليةً من الشقوق والعيوب.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زين).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (زين).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (زين).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زين).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ الجملة من السّابق:

ترابطُ الجملِ بتفريع الأدلَّة لدحض التَّكذيب

قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ تفريعٌ على قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ﴾، إلى قوله: ﴿مَّرِيجٍ﴾؛ لأنَّ أهمَّ ما ذُكِرَ من تكذيبهم أنَّهم كذَّبوا بالبعث، وخلقُ السماوات والنجوم والأرض دالٌّ على أنَّ إعادة الإنسان بعد العَدَم في حيِّز الإمكان، فتلك العوالم وُجِدت عن عدم، وهي بلا ريب أكبرُ وأعظمُ خلقًا من الإنسان، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾[1] [يس: 81]، وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات: 27].

ويحتمل أن تكون الفاءُ في ﴿أَفَلَمْ﴾ لعطف ما بعدها على محذوفٍ مقدَّرٍ من السياقِ، وهو يُطيحُ بكلِّ ما قالوه؛ افتِئاتًا على الحقِّ وإنكارًا له، والمعنى: (أغفلوا، وعَموا، فلم ينظروا إلى السماء فوقَهم، كيف بنيناها هذا البناءَ العجيبَ، بأن رفعناها بدون عمد، وزيناها بالكواكب، وحفظناها من أيِّ تصدُّعٍ أو تشقُّقٍ أو تَفَتُّقٍ؟)[2].

دلالةُ أسلوب الاستفهام:

الأدلَّة المنصوبةُ على البعثِ ظاهرةٌ وإنَّما عَمي عنها عقلُ المعاندين

الهمزة في أوَّل قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾؛ للاستفهام القاصد إلى الإنكار وتوبيخ الكفّار على عدم التأمُّل والتدبُّر في خلق السماء، وما فيها من إحكام وزينة؛ ليهتدوا من خلال ذلك إلى أنَّ أمر البعث سهلٌ يسيرٌ على الله، الذي أبدعها، وأحكمها على النحو الذي يشاهدونه ليلًا ونهارًا.

ويمكن أن يكون الاستفهامُ لتقريرهم ونزع اعترافهم بقدرة الله تعالى على البعث والإحياء، بجعل النَّظر للمشاهدة لا للتَّفكُّر،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 285.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 282، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 334.

فإنَّهم وجدوا آثارَ قدرته باديةً ظاهرة، بمجرَّد النظرِ في السماء وما هي عليه من بناءٍ وزينةٍ، والتقرير على نفيِ الشيء الذي يُراد منه الإقرارُ بإثباته هو طريقةٌ قرآنيَّة، غرضُها إفساحُ المجال للمقَرَّر إن كان يروم إنكارَ ما قُرِّر عليه؛ ثقةً من المقرِّر بأنَّ المقرَّر لا يُقدِم على الجحود بما قُرِّر عليه لظهوره، وهذا الوجه أشدُّ في النَّعي عليهم؛ لاقتضائه أنَّ دلالة المخلوقات المذكورة على إمكان البعث يكفي فيها مجرَّدُ النَّظرِ بالعين[1].

دلالة النفي بـ(لَم):

(لَم) حرفُ نفيٍ وجزم، وهو من خواصِّ المضارع، ويصرف معناه إلى المضيِّ[2]، وعلى جَعلِ الاستفهام للإنكار، فإنَّ النَّفيَ به في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾ يدلُّ على أنَّ الكفّار لم يحصُل منهم نظرٌ في السماء مطلقًا باعتبارِ التَّفكُّر الموصِل إلى الحقِّ، ولم يُلفِتِ انتباهَهم بناؤُها المحكمُ، ولا زينتُها المعجِزة الآخذةُ بألباب عقول الحكماء، بل هم غارقون في الغفلة واللّهْو عمّا يملأ كونَ الله الفسيحَ من آياتٍ باهراتٍ، ومعجزاتٍ خارقاتٍ، تدلُّ دلالةً قاطعةً على يُسر البعث وسهولته على الله جلَّ في علاه، فالذي أتقن هذا الصُّنع، هو القادر على الإعادة والإحياء.

غـايـةُ المُـنـكِـر طلبُ الـرِّزق من الحقِّ، لا التَّفكُّر المـوصِـلُ إلى الحقِّ

بلاغةُ استعمالِ مادَّةِ النَّظَر:

آثر النَّظم الكريمُ استعمالَ مادَّة النظر، في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾، ولم يَجِئ التَّعبيرُ بالرُّؤية، كما جاء في آياتٍ عديدة؛ لأنَّ النَّظَر دون الرؤية، فالنّاظر يُدرك المبصرات، وأمّا الرؤية؛ فهي تحتاج إلى مزيد فكر وتأمُّل، والله طلب منهم أن ينظروا، فإنَّ مُجَرَّد النَّظر موصِلٌ إلى معرفة أدِلَّة القدرة على

مِـنَ الـعَـجَـبِ تَـعَـجُّـبُـهـم ممّا يُدرَك بأدنى نظر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 285، 286.

(2) المرادي، الجنى الداني، ص: 267.

البعث، ولا حاجةَ إلى الرؤية، فلمّا صدر منهم استبعادُ البعث في قولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾، جاء التَّعبير بأدنى الفِعلَين وهو النَّظر؛ ليقع الاستبعادُ في مقابلة الاستبعاد[1].

دلالة التَّعبير بصيغة المضارع:

المنكرون أحدثوا إعراضًا ثابتًا، وكان يجب عليهم نظرٌ مُتجدِّد

أوثِر التَّعبير بفعل النَّظر مضارعًا في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾؛ لأنَّه يدلُّ على تجدُّدِ نفي النَّظَر في الماضي، فيستنكر الاستفهامُ عدمَ تأمُّلِهم خلقَ السَّماوات، مع تجدُّدِ دواعي ذلك، من تتابُعِ الوحي وإنكار البعث، والفرق واضح بين ما جاء عليه البيانُ، وبين أن يُعَبَّر بالماضي، فيُقال: (أما نظروا إلى السَّماء فوقهم؟)؛ فالإنكار عليهم باعتبار أنَّهم قد أحدثوا إعراضًا ثابتًا، وقد كان يجب عليهم أن يكون منهم نظرٌ متجدِّد.

نكتةُ الإسنادِ إلى ضمير الجمع:

جاء إسناد فعل النَّظر إلى ضمير الجماعة، في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الإنكار متَّجِهٌ لجملةِ الذين أنكروا البعث من المشركين، وأنَّ الغفلة إذا استولت على المجموعِ؛ أصابت الجميعَ باللومِ والتَّوبيخ.

نكتة التَّعديَة بـ﴿إِلَى﴾:

مجرَّدُ النَّظر إلى السماءِ مرشدٌ ومعينٌ على إدراك عظمةِ الله وقدرته

﴿إِلَى﴾ حرفُ جرٍّ يفيد انتهاءَ الغاية، وأوثر تعدية فعل النظر به في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾ دون (في)؛ لأنَّ النَّظر في الشيء يُنبئ عن التَّأمُّل والمبالغة، والنَّظرَ إلى الشَّيء ينبئ عن إدراكه مبصَرًا؛ لأنَّ ﴿إِلَى﴾ للغاية، فينتهي النظرُ عنده في الدخول في معنى الظرف، فإذا انتهى النظر إليه؛ ينبغي أن ينفذ فيه حتّى يصحَّ معنى الظرفية[2]، فمجرَّد النظر إلى السماء مرشدٌ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 128.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 128.

ومعينٌ على إدراك عظمة الله وقدرته؛ لظهور ذلك في بنائها وزينتها بشدَّةٍ ووضوحٍ، وهذا التَّعبيرُ أبلغ في استنكارِ إنكارِهم والتَّعجُّب من تَعَجُّبِهم، مثلَما أفاده إيثارُ مادَّة النَّظر على مادَّة الرؤية.

براعةُ البدء بذكر ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾:

عظمةُ السماء في إثباتِ البعث حـاضـرةٌ عند أدنى تأمُّل

أوثر تقييدُ فعل النظر بكونه ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لسهولة النظر إليها؛ بسبب ظهورها وشدة بروزها، ولسرعة إدراك ما فيها من معجزاتٍ باهراتٍ، وقُدِّم ذكر السماء على الأرض وغيرها من الأدلَّة التي ساقتها السورةُ الكريمةُ على إمكان البعث لعظمتها، وكثرة أدلَّتها، وكونِ كلِّ شيءٍ فيها يصلح أن يكون برهانًا مستقلًّا على عظمة الله وقدرته على أمر الإحياء، الذي يُعَدُّ هيِّنًا؛ إذا قورِنَ بشيء ممّا في السَّماء، كالشمس، أو القمر، أو النجوم، أو الليل، أو النهار، أو غير ذلك.

سِرُّ التقييد بالظَّرف:

النَّـظـرُ إلى السماء ميسورٌ لكلِّ مريد

ظرفُ الفوقيَّة حالٌ من السَّماءِ في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾، والتقييدُ بالحال تنديدٌ على المشركين لإهمالهم التأمُّلَ في السماء معَ المُكْنة منه؛ إذ هي فوقَهم مباشرةً، قريبةٌ غيرُ بعيدة، لا يكلِّفُهم النَّظرُ إليها إلّا رفعَ رؤوسِهم[1]، ففي التَّعبير بالظَّرف تأكيدٌ ليُسْرِ النظر إلى السَّماء، والاستدلال بما فيها على البعث.

مَوقِعُ ﴿كَيْفَ﴾ ودلالتُها:

تنبيهُ المُتلقّين ولفتُ أنظارِهم إلـى فـخـامـةِ المُستَفهَم عنه وعظمةِ بنائِه

﴿كَيْفَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ اسمُ استفهامٍ في محلِّ نصب حال، معناه: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقَهم هيئةَ بُنياننا إيّاها)[2]، والغرضُ من التعبير به هو لفتُ أنظار المشركين بخاصَّة - والناس بعامَّة - إلى فخامة هيئة المستفهَم عنه بها، وبلوغه في عظمة الصَّنعة ودِقَّة البناء والإحكام

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 286.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 286، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 128.

المَنزِلةَ التي لا يُمكِن أن يقترب منها شيء، أو يَصِلَ إلى مثلها بناءٌ، مهما حُشِدَ له من إمكانات وتجهيزات.

دلالةُ جملةِ البناء:

التأمُّلُ في دِقَّةِ بناء السماء مُرشِدٌ إلى قدرة الله على البعثِ والإحياءِ

جملة فعلِ البناء ﴿بَنَيْنَٰهَا﴾ من قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ مكوَّنةٌ من فعل وفاعل ومفعول، وهي إمّا أن تكونَ في محلِّ جرٍّ بدل اشتمالٍ من السماء[1]، فتدلَّ على أنَّ النظرَ إلى السماء يجب أن يكون تأمُّلًا فيما اشتملت عليه من بنائها المُحكَم، وزينتها الفريدة؛ ليتوصَّلَ النّاظرُ إلى أنَّ مَنْ بناها، وزيَّنها، قادرٌ على إحياء الإنسان وبعْثِه، وإمّا أن تكونَ في محلِّ نصب مبيِّنة لـ ﴿كَيْفَ﴾[2]، فتدلَّ على أنَّ حال الناظر إلى السماء يجب أن يكون تَفكُّرًا في الكيفيَّة التي بُنيَت عليها السَّماء من غير عَمَدٍ أو رافعات، وأنَّ مَنْ يُمسكها من الوقوع على الناس قادرٌ على البعث والإحياء، ولا يُعجِزه ذلك الأمرُ الذي يُعَدُّ سهلًا هيِّنًا؛ إذا قورِن بحالِ بناءِ السماء.

دلالة الإسناد إلى ضَميرِ العَظَمة:

تفخيم بناءِ السماء، وإشرابُه العظمةَ الربانية

أسْنَد البيانُ فعلَ بناء السماء إلى ضمير الحقِّ سبحانه بصيغة التعظيم ﴿بَنَيْنَٰهَا﴾؛ لتفخيم الفعل والإشارة إلى يُسْرِه على الله بما له من العظمة والاقتدار، والدلالةِ على عدم قدرةِ أحدٍ على أن يفعل مِثلَ بناء السماء أو قريبًا منه، والمعنى: (أوجدناها على ما لنا من المجد والعِزَّة مَبنيَّةً كالخَيمة إلّا أنَّها من غير عَمَد)[3].

نكتةُ عَطفِ فِعلِ التَّزيين بالواو:

أوثِر عطف فعل التزيين على فعل البناء بالواو التي تفيد المصاحبةَ في قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾؛ للدلالة على

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 282.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 286.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 408.

أنَّ النظر إلى السماء والتأمُّلَ فيها لا يصِحُّ أن يقتصر على كيفيَّة البناء فقط، بل يجب أن يكون مصحوبًا بالتأمُّل فيما زيَّنها الله به من الكواكب الصِّغار والكبار، السَّيّارة والثابتة[1]، وكيفيَّة حركتها من غير تعارُضٍ ولا تصادُم، وكيف يترتَّب على ذلك انتظامُ الكَون، وقضاءُ حاجات الناس ومصالحهم.

التأمُّلُ في زينة السماء هادٍ إلى يُسرِ البعث على الله

دلالةُ الإسناد إلى ضمير العظمة:

في إسناد فِعلِ التَّزيين إلى ضمير العظمة، في قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ تفخيمٌ للفعل، ودلالةٌ على أنَّ أمر البعث بالنسبة إليه سبحانه سهلٌ يسيرٌ، وأنَّ فعلَ التَّزيين كان مقصودًا؛ ليستدلَّ به النّاس على كمال الصَّنعة وتمامِ الخَلق.

بلاغةُ ذِكرِ الزّينة:

خَصَّ النظم الكريم تزيين السماء بالذكرِ، في قول الله تعالى: ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾؛ للجمع بين الاستدلال والامتنان بنعمة التمكين من مُشاهدة المَرائي الحسنة، ولأنَّ التَّزيينَ يشترك في إدراكه جميعُ الذين يشاهدونه، ثم النّاس يتفاوتون في إدراك ما في خلق الكواكب والشمس والقمر ونظامها من دلائِلَ على مقدار تفاوت علومهم وعقولهم، فالآيةُ صالحةٌ لإفهام جميع الطبقات[2].

الجمعُ بين الاستدلال والامتنان من بديعِ نَظْم القرآن

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

الواوُ في قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ عاطفةٌ على جملتَي ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾، فهي حال ثالثة في المعنى[3]، وفي التعبير بها دلالةٌ على أنَّ النظرة المتأمِّلةَ إلى السماء يجب أن تَمتدَّ؛ لتنظر في سلامتها من الفُروج والفُتوق والخَلَل[4]، على الرَّغم من اتِّساعها

تتابُعُ الأحوال تقويةٌ للاستدلال، وتمتينٌ للنَّظر في المآل

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 408.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 286، 287.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 287.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 531.

وتغطيتها الكونَ كلَّه، ومن عَدَمِ وجود أعمدةٍ رافعةٍ لها على امتداد الزمان، وهو أمرٌ لا يحصل في أيِّ بناءٍ.

نوعُ (ما) ودلالتُها:

نـفـيُ وجـودِ الـنَّـقـصِ في الـسَّـمـاءِ نفيًا عامًّا قاطعًا

(ما) في قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ هي النافية العاملة عملَ (ليس)، وأوثِر النَّفي بها؛ لأنَّ من خصائصها نفيَ الجُمَل الاسميَّة والفعليَّة، وهي آكدُ في النفي من (ليس)، وأوسعُ استعمالًا منها أيضًا؛ لأنَّ (ليس) مختصَّةٌ بنفي الجُمَل الاسمية فحسب[1]، والنَّفي بـ(ما) أنسبُ هنا؛ لأنَّها تُفيد - بمعناها ومبناها المختوم بألف المدِّ - نفيَ وجود فروج أو شقوق في أيِّ مكانٍ من السماء نفيًا قاطعًا لا حدودَ لهُ، وهو المكتسَبُ من دلالتها على العموم، أي: نفيٌ يعمُّ السماءَ كلَّها، ممّا علمه النّاظرُ بالعين المجرَّدة، أو بالأدوات المتقدِّمة، أو بالعلوم القطعيَّة، فإنَّ النَّظر والعلم لن يصلا إلى خللٍ فيها، أو نقْصٍ يعتريها.

دلالةُ التعبيرِ بالجملة الاسميَّة:

كـمـالُ الـسَّـمـاءِ وتـمـامُ خلقِها ينفي كلَّ نظريَّةٍ مـن شـأنِـهـا الانـتـقـاص من السَّماءِ

جاء التَّعبير في قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ بالجملة الاسميَّة؛ لِما تمتاز به من إفادة الثبوت والدَّوام؛ فتفيد الجملةُ انتفاءَ وجود الفروج في الماضي والحاضر واللاحق، وذلك ثابتٌ لها على مرِّ العصور والأزمان، وليس في وقتٍ دون وقتٍ، أو حالٍ دون حالٍ، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ بديع صُنع السماءِ وثباتَها على ذلك مستمرٌّ إلى يوم الدّين، ففيه ردٌّ على جميع النَّظريّات القائلة بمرور السماء بمرحلة نقص، أو زمان عدم اكتمالٍ، وما إلى ذلك من نظريّات خرجت من رَحِم الإلحاد.

نكتةُ تقديم الجارِّ والمجرور:

قُدِّم ذكرُ الخبر على المبتدأ في قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن

(1) السامرائي، معاني النحو: 4/ 191.

فُرُوجٍ﴾، ممّا يفيد تقويةَ المعنى وتأكيدَه؛ لبيانِ أهمّيَّة العناية بإبراز ما للسماءِ من مزايا هي محل النَّظر.

نكتةُ جمع لفظ ﴿فُرُوجٍ﴾:

انتفاءُ جميعِ أنواعِ النَّقص في بديعِ صُنعِ الله

جاء جمع لفظ الفَرْج في قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾؛ ليَعُمَّ كلَّ الفُروج، أيًّا كان نوعُها وحجمُها وزمانُها، فتعمَّ كلَّ ما يتصوَّرُه الذِّهنُ البشريُّ على مدى الأيّام، ففيه إيماءٌ إلى عموم العلم الإلهيِّ لِما يَصِلُه الإنسان، فيَسبِقُه بنفيِ النَّقص، وإثباتِ الكمال.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"